كيف تحب من لا يمكن محبته (رومية ١٢: ١٤، ١٧-٢١)

تأليف: دفيد روبر

أسرع شاب على وشك التخرج من المدرسة إلى البيت صائحاً: «لقد انتيهت من الامتحان الأخير!» أومأ ليه أبوه، ولكنه قال في نفسه «أنت لا تدري بانك قد بدأت للتو باختبارات الحياة!». يعرف معظمنا انه حتى بعد الانتهاء من المدرسة الرسمية، إلا اننا نُختبر كل يوم. ربما من بين جميع الاختبارات التي نمر بها ليس هناك اختبار أصعب مما ورد ذكره في النص الذي سندرسه الآن.

تم تقديم هذا الاختبار في رومية ١٢: ١٤: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا». تم توسيع هذا في الآيات ١٧ إلى ٢١:

> لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.

إذا شملنا الآية ١٤ في هذا، يكون لهذا النص أربع عبارات سلبية. وتكون رسالة كل هذه العبارات الأربع هي نفسها.[١]

- «بَارِكُوا {الذين يضطهدونكم}» (الآية ١٤).
- «لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ» (الآية ١٧).
- «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ» (الآية ١٩).
- «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (الآية ٢١).

هذه العبارات السلبية الأربعة تعادلها عبارات إيجابية. باركوا أعدائكم (الآية ١٤). افعلوا ما هو قويم، واجتهدوا لتكونوا في سلام ما الجميع (الآيتان ١٧ و١٨). أتركوا مسألة الانتقام في يدي الله. واهتموا بإظهار المحبة لأعدائكم (الآيتان ١٩ و٢٠). أغلبوا الشر بالخير (الآية ٢١).

سمى جون كاكلمان رومية ١٢: ١٧-٢١ بانها «أحد أعظم النصوص في العلاقات الشخصية المتبادلة»[٢]. كان بولس يفكر بعلاقتك مع غير المؤمنين الذين يحاولون ايذائك - مضطهديك (الآية ١٤)، وأعدائك (الآية ٢٠)، والأشرار (الآية ٢١). ولكن يمكن تطبيق هذا النص على الانسجام مع الإخوة السيء الطبع. قد يساعد هذا أيضاً الأسر المضطربة. لقد أسميتُ هذا الدرس بـ«كيف تحب من لا يمكن محبته». سنلقي نظرة خاطفة على الآية ١٤ ومن ثم نركز على الآيات ١٧ إلى ٢١.

صلي من أجله (١٢: ١٤)

تقول الآية ١٤: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا». لقد سبق فقلنا أن كلمة «بَارِكُوا» معناها «أطلبوا من الله أن يباركهم». بينما كلمة «تَلْعَنُوا» تعني «أطلبوا من الله أن يلعنهم». ينبغي أن نفعل ما ورد ذكره أولاً؛ ولا ينبغي أن نفعل ما ورد ذكره ثانياً. طريقة بسيطة للتعبير بالآية ١٤ هي بالقول أنه ينبغي أن نصلي لأجل أعدائنا.

---

[١] مأخوذ من جون آر دبليو ستوت، في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today series»، صفحات ٣٣٤-٣٤٥.

[٢] جون كاكلمان في موعظة بعنوان «How to Really 'Even the Score'» القاها في كنيسة المسيح بمدينة جادسونيا بولايا أركنساس الأميركية، في ١٤ يونيو سنة ٢٠٠٣.

قرأتُ عن إنسان كان يحضر خدمات العبادة في الكنيسة، وكان يبدو وكأنه أتعس إنسان بالمدينة[٢]. وفي أحد الأيام، جاء إلى مكتب الواعظ وسأله قائلاً: «هل جميع أعضاء الكنيسة الأخرين سعداء حقاً أم انهم يمثلون ذلك؟»

قال له المبشر: «أعتقد أن أغلبيتهم سعداء حقاً».

فقال الرجل: «حسناً، أنا لستُ كذلك. أني تعيس». فتحدثا عما كان يضايق هذا الشخص. واتضح انه كان له خمسة منافسون يكرهم. قال: «انهم جماعة من الملتوين. أتمنى أن يموتوا جميعاً!»

قال المبشر: «قد أريد ان اخبرك ما يمكن أن تعمل لتكون سعيداً، ولكنك لن تقوم بذلك».

قال الرجل: «نعم، سأعمله».

هز المبشر رأسه وقال: «كلا، سوف لا تعمل بما انصحك»،

قال الرجل: «نعم سأعمله، عليك فقط أن تقول لي ما يجب أن أعمل».

قال المبشر: «أركع على ركبتيك في كل ليلة قبل النوم، وصلي من أجل كل واحد من منافسيك وأطلب من الله أن يباركهم بعمل جديد».

فهتف الرجل قائلاً: «ما هذا! أني لستُ مستعد لأفعل ذلك!»

أجاب المبشر: «قلتُ لك أنك لا تفعله».

دمدم الرجل وهو يقول: «ولكني وعدتُ باني سأفعل، أليس كذلك؟ لقد خدعتنيَ».

بمرور الأسابيع، لاحظ المبشر أن ملامح هذا الرجل أصبحت تتغير شيئاً فشيئاً. وفي أحد الأيام، جاء هذا الرجل مرة أخرى إلى مكتب المبشر، وقال «حسناً يا مبشر، لقد نجح ذلك! اصبحت علاقتي مع منافسيّ جيدة. ولكن عليَّ أن أعترف بشيء: عندما بدأتُ أصلي من أجلهم، كنت أقف عن الصلاة للحظة وأنظر إلى الأعلى وأقول: «أنت تعلم يا إلهي أني لا أعني أي مما أقول. ولكني في ما بعد أصبحتُ أعني ما أقول – والآن أنا سعيد».

[٢] مأخوذ من سي روي أنجل في كتابه بعنوان «Iron Shoes»، صفحتي ٥٢ و٥٣.

كيف تحب شخص لا يمكن محبته؟ أول ما يمكن أعمله هو الصلاة من أجله.

حاول الإنسجام معه (١٢: ١٧ و١٨)

كان ذلك الجزء من الإختبار صعب، ولكن يزداد الإختبار صعوبة في الآيتين ١٧ و١٨، إذ تقولان: «لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ».

عبارة سلبية: لا تنتقموا (الآية ١٧).

تبدأ الآية ١٧ هكذا: «لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ ...». من إحدى الغرائز الأساسية هي حفظ الذات. عندما يسيء أحد معاملتنا، نريد أن نعاملهم بالمثل. نريد أن نريد أن نعاملهم بأسوأ. يقول الطفل: «هو الذي ضربني أولاً!» كما لو كان ذلك يبرر لكماته. مثل هذا التفكير لم يتخلى عنه كثيرون. قال بولس في الآية ٢ من هذا الأصحاح: «وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ ...». {تقول ترجمة كتاب الحياة في هذه الآية: «ولا تتكيفوا مع هذا العالم ...»}[٤]. ما أصعب عدم التكييف مع نظام العالم القائل «جازوا عن شر بشر»!

أتتذكر كلام يسوع المذهل عن هذا الموضوع؟

> «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ...» (متى ٥: ٣٨-٤١).

أسمى دوغلاس جي موو مبدأ عدم الانتقام هذا بـ«أحد صفات المسيحي الأكثر تمييزاً له»[٥].

هل هناك بعض الإستثناءات لوصية بولس هذه؟

[٤] ترجمة كتاب الحياة؛ جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[٥] دوغلاس موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٤١٧.

قال: «تُجَازُوا **أَحَدًا** عَنْ شَرّ بِشَرّ». ما أصعب الاختبار لكثيرين منا!

عبارة إيجابية (الآية ١٧).

إن كان لا ينبغي أن نرد عن الشر بالشر، ماذا يجب أن نعمل عندما يسيء الناس معاملتنا؟ نرجع إلى الوصية الإيجابية الواردة في الآيتين ١٧ و١٨. قال بولس: «... مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ» (الآية ١٧). تشير عبارة «أمور حسنة» في هذه الآية إلى ما هو حسن اخلاقياً، وجيد وسامي وحميد. يحاول المسيحي أن يكون مثالاً جيداً بغض النظر عن سلوك الأخرين. كتب بولس في مكان آخر: «مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ، لَيْسَ قُدَّامَ الرَّبِّ فَقَطْ، بَلْ قُدَّامَ النَّاسِ أَيْضًا» (٢ كورنثوس ٨: ٢١).

هناك بعض الحالات يمكن فيها للمسيحي أن يقول: «لا يهمني ما يفكر به الناس» - على سبيل المثال عندما يُنْتَقَص بسبب إيمانه وقناعاته. ولكن القاعدة العامة هي انه على المسيحي أن يحاول أن يعيش حياة خالية من اللوم. تقول ترجمة كتاب الحياة في رومية ١٢: ١٧: «... اجتهدوا في تقديم ما هو حسن أمام جميع الناس»[٦].

عبارة إيجابية: سالموا جميع الناس (الآية ١٨)

قال بولس بعد ذلك انه يجب أن نعمل كل ما بوسعنا لنعيش في سلام مع جميع الناس - بما فيهم الذين يحاولون أن يؤذوننا. تقول الآية ١٨: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ». قدم بولس وصية شاملة هنا كما فعل في الآية ١٧: «سالموا **جميع** الناس».

لا شك انه قد يعترض شخص ما ويقول: «ولكن هذا مستحيل!». توقع بولس ذلك عندما قال: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا ...». تكون الحياة في سلام أمر مستحيل أحياناً. لأنه قد يكون ثمن السلام هو تسوية الحق أو تسوية الأمانة - وهذا الثمن أكثر بكثير مما يمكن الوفاء به.

[٦] ترجمة كتاب الحياة؛ جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

وأحياناً يكون السلام أمر مستحيل لأنه مهما فعلنا، يوجد شخص آخر ضد المصالحة.

ينقلنا هذا إلى الشرط الثاني الذي قدمه بولس: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ ...». قال جون كاكلمان انَنا مسؤولين من طرف واحد فقط من طرفي العلاقة. لا يمكنك التحكم بما يفعل الشخص الآخر أو كيف سيكون رد فعله. ولكنه سواء كان منفتحاً أم لا، عليك أن تفعل كل ما بوسعك من أجل السلام. قال يسوع في الموعظة على الجبل: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ» (متى ٥: ٩).

أريد أن أضع التوكيد على أن بولس لم يعطي هاتين الحالتين «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا»، أو «فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ» لكي يكون لنا أعذار حتى لا نفعل كل ما بوسعنا لكي نأتي بسلام. لم يقل بولس: «إن كنت سريع الانفعال ولا تستطيع السيطرة على نفسك، لا بأس بذلك». أو «إن كنت قد قمت بقليل من الجهد، هذا كل ما يتوقعه الله منك». بل كان يطالبنا بان نعمل كل ما بوسعنا لنكون «في سلام مع جميع الناس».

قد يقول أحد في نفسه: «ولكن إن لم أرد عن الشر بالشر، سينتهز أعدائي هذه الفرصة». قد يكون هذا صحيح. وقد يقول آخر: «إن امتنعت عن مكافأة الشر بشر سأظل مبغوضاً من قبل أعدائي» هذا، ممكناً - ولكن بغضهم يكون مشكلتهم هم. قال بولس انه يجب أن نعمل ما يمكن أن نعمل من أجل السلام. تُحكى قصة عن إنسان عطوف كان يحاول أن يحل حيوان متوحش من الشرك. وعندما فعل هذا، بدأ الحيوان يطلق الاصوات محاولاً أن يخدشه بمخالبه. سأل أحد المارة قائلاً: «لماذا تحاول مساعدة ذلك الحيوان؟ فانه سيؤذيك إذا استطاع ذلك». فأجاب الرجل: «انه من طبيعته أن يهسهس ويخدش بمخالبه، ومن طبيعتي أنا أن أساعد. فلماذا أغير طبيعتي بسبب انه لا يستطيع أن يغير طبيعته؟»[٧].

كيف يمكنك أن تحب من لا يمكن محبته؟ أفعل ما بوسعك لتكون في سلام معه.

[٧] مأخوذ من روبرت جي مورغن في كتابه بعنوان «Nelson's Complete Book of Stories, Illustrations, & Quotes»، صفحتي ٢٦٧ و٢٦٨.

ساعده (١٢: ١٩ و٢٠)

الاختبار يزداد صعوبة. طالبنا بولس في الآيتين ١٩ و٢٠ بان نساعد الآخرين حتى ولو كانوا يريدون أن يؤذونا.

عبارة سلبية: (الآية ١٩)

بدأ بولس مرة أخرى بعبارة سلبية: «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ...» (الآية ١٩). هذه أول مرة منذ ١:٧ يدعو بولس قُرَّاءه «أحباء» («أقاپتوس ἀγαπητός») من عائلة كلمة «أقابي ἀγάπη»). لماذا استخدم هذه الكلمة هنا؟ ربما كان يضع التوكيد على أن حواره ما زال عن «محبة {أقابي ἀγάπη}» صادقة (الآية ٩). ربما تحنن لأخوانه وإخواته واضعاً في الاعتبار الصراع الذي سيختبرونه عند الاستجابة لوصاياه.

إذا كان هناك أية نصيحة من الكتاب المقدس تعارض الفكرة الشائعة، تكون تلك هي: «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ». نحن نعيش في عصر يُشجع فيه الانتقام للنفس»، أو حتى يُحتفَل به[٨]. الانتقام هو الخبر الرئيسي لكثير من الكتب والأفلام والبرامج التلفزيونية. هناك شعار يقول: «لا أغضب فحسب، بل وأصفي حسابي». هناك محاولات أحياناً لستر الانتقام بتسميته «عدالة شخصية». ويحاول البعض تبرير نقماتهم باستخدام وصية في العهد القديم تقول «وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ» (راجع خروج ٢١: ٢٤؛ لاويين ٢٤: ٢٠)[٩]. مهما يحاول الناس تمييزه وجعله أكثر وضوحاً فانه ما زال مجازاة الشر بالشر. وما زال بولس يقول: «لا تفعلوا هذا!»

كتب فرانسيس باكون (١٥٦١-١٦٢٦) في الزمان القديم: «عندما ينتقم الإنسان لا يكون إلا مساوياً لعدوه ولكنه إن لم يفعل كذلك يكون متفوقاً عليه»[١٠]. أشار دال هارتمان إلى أن نخسر مرتين عندما ننتقم. أولاً نفقد ما كنا قد فقدنا عندما اسيئت معاملتنا. ثانياً (وهذا أكثر خطورة) نخسر روحياً عندما ننتهك وصية الله[١١].

قد يعترض شخص آخر أيضاً ويقول: «ولكن إن كنتُ لا أدافع عن نفسي، سيعتقد الناس انني ضعيفاً». قد يكون هذا صحيح، ولكن تأمل في ما يلي: عندما يكون للشخص وسائل الانتقام، يتطلب قدرة شخصية أكبر للتحكم بالنفس وعد الانتقام مما يتطلب القيام بالانتقام. عندما كان يسوع على الصليب، سخر به المتفرجون وكانوا يقولون: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّام، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ الله فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» (مَتى ٢٧: ٤٠). كان باستطاعته أن ينزل عن الصليب. وكان له السلطان ليسكت أعداءه. ولكنه أظهر قدرته بعدم الانتقام.

أهذا يعني أنه سوف لا يكون هناك عقاب للشر؟ كلا. هذا يعني اننا لسنا الذين نعاقب الشر. إذن كيف يتم عقاب الشر؟ واصل قراءة النص الذي نحن بصدده.

عبارة إيجابية: أترك النَّقْمَة لله (الآية ١٩).

«لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ ...» (رومية ١٢: ١٩). يوضح النص أن بولس كان يقصد بكلمة «للغضب» في هذه الآية «غضب الله»[١٢]. «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ» (ذيل الآية ١٩). {الانتقام أو النقمة هي من مسؤولية الله، وليست مسؤليتنا نحن}.

أجرى بولس تباينين. قال في الآية ١٧: «لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ». لماذا؟ لأن هذا مهمة الله؛ إذ يقول الله: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ» (الآية ١٩). قال بولس في الجزء الأول من الآية ١٩ انه لا ينبغي لنا أن ننتقم لأنفسنا. وأوضح في الجزء الأخير من الآية نفسها السبب في ذلك: لأن ذلك هو مهمة الله: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ».

ان عبارة «أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ» معناها أن لا

---

[٨] اجعل هذه الفقرة تتناسب وأهل المنطقة التي أنت بها. العداء أو الضغينة القائمة لفترة طويلة بين أفراد الأسرة هي مثال عن أناس يحاولون الانتقام للنفس.

[٩] هذا سوء استخدام النص؛ أولاً، لأن وصية العهد القديم هذه لم تكن عن انتقام شخصي بقدر ما كانت عن عقوبة من قبل المجتمع. ثانياً، نعيش اليوم بحسب معيار العهد الجديد (راجع متى ٥: ٣٨-٤٢).

[١٠] لويس كوپلاند محرر كتاب «Popular Quotations for All Uses» الطبعة المنقحة ١٩٦١. صفحة ٣٩١.

[١١] دال هارتمان في موعظ ألقاها في إحدى كنائس المسيح بمدينة ميدوست سيتي في ولاية أوكلاهوما الأميركية في ٢٤ أكتوبر سنة ٢٠٠٤.

[١٢] يقال أن بولس أشار إلى غضب المسيء أو إلى غضب المسيء إليه، ولكن يدل السياق هنا إلى أنه كان يشير إلى غضب الله.

نحاول أن نعمل عمل الله. وبانه يجب أن نتنازل ونسمح للرب بان يعاقب الشر. حكى تايلور كاف عن حدث وقع ذات مرة في دولة بأميركا الجنوبية[١٣]. ضبط رجل لصين يسرقان الخشب من مزرعته. فواجههما وأمرهما بالمغادرة. وعند مغادرتهما اقسما بالانتقام. وفي ما بعد قتلا هذا الرجل وابنه الأكبر. فألقى رجال الشرطة القبض على هذين المجرمين. وبعد ذلك أتت الشرطة بالابن الأصغر إلى هذين الرجلين وقال له: «خذ هذا السلاح. سنقف في جانب واحد. عليك أن تفعل ما شئت». رجع الشاب السلاح للشرطة وقال: «كلا، هذا عمل الله».

عندما كان دال هارتمان صبياً، قال له مبشر ناضج {روحياً}: «لا تدخل في علاقة ما وتخرب ما يجيد الله عمله»[١٤]. يعرف الله كل شيء، ونحن لا نعرف كل شيء. يرى الله كل شيء، واما نحن فلسنا كذلك. الله كلي القدرة، وأما نحن فلسنا كذلك. قال آر سي بيل انه عندما نحاول قياس العقوبة يغلف خطايانا كل شيء وأحاسيسنا تجعله معتماً. معرفتنا الجزئية وعدم قدرتنا لمعرفة القلوب تمنعنا من القيام بها بطريقة صحيحة[١٥].

كيف يجازيء الله الشر؟ ورد ذكر ثلاثة طرق على الأقل في الرسالة إلى أهل رومية:

- تأتي بعض العقوبات بالعواقب الطبيعية للخطيئة. ينال البعض «فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ» (رومية ١: ٢٧). كَتَبَ جيمي ألن قائلاً: «ينال الأشرار العقوبة الآن ليس بسبب خطيئتهم بقدر ما هو من قبل خطيئتهم»[١٦].
- أحياناً يتم قياس العقوبة في المحاكم البشرية. يضع الأصحاح ١٣ التوكيد على أن الله أقام الحكومة البشرية كأحد خدامه «مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ» (رومية ١٣: ٤).
- طبعاً سيكون الجزاء الكامل والأخير لغير التائبين «فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ» (رومية ٢: ٥ و٦).

عبارة إيجابية: ابحث عن طرق لتخدمه (الآية ٢٠).

إن لم يكن مسموح لنا، فماذا يمكن أن نعمل؟ نحبه ونحاول مساعدته. تابع بولس سؤاله المأخوذ من تثنية ٣٢: ٤١ بنص من أمثال ٢٥: ٢١: «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ ...» (رومية ١٢: ٢٠). هذه الكلمات هي تطبيق عملي لوصية يسوع الواردة في إنجيل لوقا ٦: ٢٧: «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ». وجود مخرج من الصراع لا يفي بالغرض، بل يجب أن نقوم بالمبادرة لإيجاد بعض الطرق لمساعدة خصومنا.

ينصح العالم: «ابحث عن ضعفات عدوك واستغلها. هل هو جائع؟ فليمت جوعاً. هل هو عطشان؟ فليمت عطشاً». ولكن المحبة تقول: «اعرف احتياجات عدوك ووفرها له – المأكل والمشرب، أو اية احتياجات.

عندما يسيء إليك أحد، قد ترد بأربعة طرق محتملة. إن أصابك بأذى قد تؤذيه أكثر، وهذا انتقام. إن أصابك بأذى، قد تعامله بالمثل، وهذا انتقام. إن أصابك بأذى قد تتجاهله وتبتعد عنه، وهذا إزدراء. وأخيراً، إن أصابك بأذى، قد تحبه وتخدمه؛ وهذهطريقة المسيح[١٧]. قال بنجامين فرانكلين: «ان إذاء عدوك يجعلك أدنى منه؛ وعدم الانتقام يجعلك على مستوى معه، وغفرانه يجعلك

---

[١٣] تايلور كاف في حصة الكتاب المقدس بإحدى كنائس المسيح بمدينة ميدوست سيتي في ولاية أوكلاهوما الأميركية في ١٤ يوليو سنة ٢٠٠٥.

[١٤] دال هارتمان في موعظ ألقاها في إحدى كنائس المسيح بمدينة ميدوست سيتي في ولاية أوكلاهوما الأميركية في ٢١ ديسمبر سنة ٢٠٠٣.

[١٥] آر سي بيل في تفسيره بعنوان «Studies in Romans»، صفحتي ١٤١ و١٤٢.

[١٦] جيمي ألان في كتابه بعنوان «Survey of Romans»، (الطبعة الرابعة، منقحة ١٩٧٣)، صفحة ١٠٥.

[١٧] مأخوذ من جيم مكويغن في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Book of Romans»، من سلسلة «Looking Into The Bible Series»، صفحة ٣٧٣.

متفوقاً عليه[١٨].

قرأتُ كتاب في الماضي عن زوجين عضوين في كنيسة الرب. ان ابنهما قد قتله سائق سيارة سكير وكان شاب في حوالي العمر نفسه مع ابنهما. انسحقا بسبب ذلك؛ وكانا قاسيان في أول الأمر. ولكنهما كانا يعرفان عما علمه المسيح وبولس. وبعون الله صاحبا ذلك الشاب وحاولا اصلاحه. وفي نهاية المطاف أصبحت حياته مباركة وهكذا حياتهما أيضاً[١٩].

إن كنا نعمل الخير لأعدائنا، ماذا تكون النتيجة؟ اقتبس بولس هذه الكلمات المذهلة من سفر الأمثال ٢٥: ٢٢: «لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ» (رومية ١٢: ٢٠). أسمى ليون موريس كلام بولس هذا بـ«تعبير مجازي غير واضح المعنى»[٢٠]. هناك الكثير من التخمينات بخصوص أصل هذه العبارة. يقول البعض انه في الأراضي المقدسة كان الناس يحملون الأوعية على رؤوسهم. إن أطفأت نار العدو فخرج ليبحث عن وقود لإشعال النار مرة أخرى، فان وضع جمر نار على الوعاء الذي يحمله {على رأسه} يكون عمل الكرم[٢١]. ويشير بعض المفسرين إلى احدى الشعائر المصرية القديمة التي يشهد فيه الإنسان علانية عن توبته بحمل وعاء من الجمر على رأسه»[٢٢]. الاعتقاد الذي أفضله هو الذي قدمه جيمي ألان. حيث قال انه عندما تهاجم الأعداء في مدينة ما، يدافع سكان المدينة عن أنفسهم برمي الأشياء على رؤوس المعتدين بما فيها الجمر.

قال ألان أن كلام بولس هذا معناه أن أفضل دفاع ضد الشر هو عمل الخير[٢٣].

حتى وإن كنا لا نعرف بالتحديد أصل المجاز الذي قدمه بولس، إلا أن معظم الناس يفهمون أن هذه العبارة تعني أن عمل الصلاح لعدونا يجب أن يؤثر فيه بطريقة إيجابية. مجازاة الشر بالخير قد يوقظ ضميره ويأتي به إلى التوبة. كتب وليم باركي قائلاً أن «الانتقام قد يسحق روحه؛ ولكن اللطف يسحق قلبه»[٢٤].

هل تكون تلك النتيجة المحتومة لعمل الخير للعدو؟ كلا - ولكن عندما تعمل هذا يساعدك بصفة عامة. ستعرف انك قد فعلت كل ما بوسعك لتنزع المرارة من قلبك. علاوة على ذلك، مجازاة الشر بالخير قد يكون له تأثير إيجابي أحياناً على من فعل الشر. منشور بعنوان «إنديا ربورت India Report» {أي «تقرير من الهند»} أفاد بانه كان هناك شخص يسكن بجوار الكنيسة وكان يحاول تعطيل خدمات العبادة للكنيسة بتشغيل موسيقى «هيندو Hindu» بصوت عال للتشويش على نظام الصوت في الكنيسة. وفي أحد الأيام حدث إعصار في تلك المنطقة. فاتخذ ذلك الجار وآخرون من مبنى الكنيسة ملجأ لهم. وفر لهم أعضاء الكنيسة الطعام لمدة ثلاثة أيام. وفي ما بعد أطاع ذلك الرجل الإنجيل[٢٥].

يقال أن أفضل طريقة للتخلص من العدو هي بان تجعل منه صديقاً. كيف نحب من لا يمكن محبته؟ نحاول إيجاد بعض الطرق لمساعدته.

افعل له الخير فقط (١٢: ٢١)

لخص بولس في الآية ٢١ ما كان قد قاله عن العلاقة مع الظالم: «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ». الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «اغْلِبِ» (منَ «نيكاو νικάω») هي الصيغة الفعلية لكلمة «نايكي νίκη»

---

[١٨] تبناه دايك هارتمان في موعظة ألقاها في أحدى كنائس المسيح بمدينة ميدوست سيتي بولاية أوكلاهوما الأميركية في ٣ أبريل سنة ٢٠٠٥.

[١٩] بوب ستوارت في كتابه بعنوان «Revenge Redeemed».

[٢٠] ليون موريس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٤٥٤.

[٢١] جيم تاونسند في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «Romans: Let Justice Roll»، صفحة ٨٦.

[٢٢] أف أف بروس في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter of Paul to the Romans»، من مجلد «The Tyndale New Testament Commentaries»، صفحتي ٢١٧ و٢١٨.

[٢٣] جيمي ألان في كتابه بعنوان «The Letter to the Romans»، (الطبعة الرابعة، منقحة ١٩٧٣)، صفحة ١٠٥.

[٢٤] وليم باركلي في تفسيره بعنوان «The Letter to the Romans»، الطبعة المنقحة ١٩٧٥. من سلسلة «The Daily Study Bible Series»، صفحة ١٧٠.

[٢٥] «إنديا ربورت» يصدره إحدى كنائس المسيح بمدينة لوفكين بولاية تكساس الأميركية.

ومعناها «نصر». عندما يُساء معاملتنا، يكون من السهل أن يغلبنا الشر، ونسمح له بالسيطرة علينا. قال بولس انه إما أن ينتصر الشر علينا أو ننتصر نحن على الشر.

عبارة سلبية: لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ (الآية ٢١).

تبدأ الآية ٢١ هكذا: «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ ...». كيف يمكن للشر أن يغلبنا؟ القي نظرة خاطفة على الآيات التي درسناها. إن طلبنا من الله أن يلعن أعداءنا (الآية ١٤) يكون الشر قد غلبنا. إن حاولنا أن نجازي أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ (الآية ١٧)، يكون الشر قد غلبنا. إن كنا نطلب الانتقام (الآية ١٩)، يكون الشر قد انتصر علينا. عندما يكون الحال هكذا، يقول جون آر دبليو بـ«اننا قد استسلمنا للشر، وقد جذبنا إلى نطاق نفوذه، وتغلب علينا فإنْهُزِمْنَا»[٢٦].

عبارة إيجابية: أغلب الشر بالخير (الآيه ٢١).

هل من السهل التغلب على الشر بالخير؟ قال بولس: «... اغْلِب الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (الآية ٢١). ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن نطلب من الله أن يبارك أعدائنا (الآية ١٤). يعني أن نحاول بكل كياننا لنعيش في سلام مع جميع الناس (الآية ١٨). يعني أن نعمل الخير لكل من يسيء إلينا – أن نحبه ونمده بحاجاته (الآية ٢٠).

هل من السهل التغلب على الشر بالخير؟ كلا. هل ممكناً؟ نعم، بعون الرب. بعون الله يمكننا (أنت وأنا) أن نغلب الشر بالخير.

الخلاصة

بدأتُ هذا الدرس بالقول أنه من أحد أصعب الاختبارات التي قد نختبرها بصفتنا مسيحيين هو أن نحب ما لا يمكن محبته. هذا الاختبار أكثر صعوبة لبعض الناس مما لغيرهم كما هو الحال مع أي إختبار آخر. البعض وبسبب طبعهم وتربيتهم يريدون أن يسببوا أذى للذين يؤذوهم. ولكن ليس هذا إختباراً سهلاً لأي شخص.

هذا الاختبار مثله مثل جميع الاختبارات، يكون سهلاً إن كنا قد اعددنا أنفسنا له. ولكي نعد أنفسنا لا بد أن نعقد العزم لعمل ما أوصانا به بولس في رومية ١٢: ١٤، ١٧-٢١. ومن ثم يجب أن نبقى قريبين من الرب لكي يساعدنا لنفعل ذلك.

حتى وإن كنا قد اعددنا أنفسنا، هل سننجح في هذا الاختبار دائماً؟ ربما لا ننجح دائماً. ولكن حتى وإن سقطنا يمكننا إعادة الاختبار (بمفهوم ما). نتوب بسبب إخفاقنا ونطلب من الله أن يغفرَ لنا. نذهب لمن يؤذينا ونقول له: «إني لم اتمكن من استجابة كما ينبغي للمسيحي أن يستجيب. قد خجلتُ بسبب أفعالي، أرجوك أن تغفر لي».

مذكرة للمبشرين والمعلمين

عندما تستخدم هذا الدرس، يجب أن تتحدث عن الكيفية التي يمكن أن «يبقى بها الشخص قريب من الرب» بان يصبح مسيحي (مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٢: ٣٨)، أو في حالة المسيحي الضال، قد تتحدث عن الرجوع إلى الرب». قد يكون هناك عنوان آخر لهذا الدرس وهو: «الانتصار على الشر».

لاحظ أنه في نص درسنا هذا لم يتحدث بولس عن حماية الشخص لأسرته والأمور ذات الصلة بها. بل تحدث بصفة خاصة عن عدم الانتقام الشخصي بعد حدوث الأذى.

---

[٢٦] جون آر دبليو ستوت في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World»، من سلسلة «The Bible Speaks Today series»، صفحة ٣٣٧.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠